المحاضرة الحادية عشرة -١١-
العرب والحرب العالمية الأولى (الجزء الأول)

١- أطماع الحلفاء بالعرب:

إن أطماع الحلفاء بالبلاد العربية قديمة، فقد احتلوا كما سبق ذكره في المحاضرات السابقة قسما من الوطن العربي قبل الحرب العالمية بفترة طويلة، وتركزت مصالحهم وامتيازاتهم في بلاد الشام والعراق، وانتظروا ذلك اليوم الذي يستطيعون فيه تحويل مناطق النفوذ إلى مناطق احتلال.

أما عن العلاقة بين العرب والترك قبل قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م فقد كانت سيئة نتيجة تحكم الاتحاديين الذين اعتبروا الترك سادة والعرب مسودين تابعين للترك في حين أن العرب اعتبروا أنفسهم شركاء للأتراك في الدولة العثمانية في إطار الجامعة الإسلامية ولم يمنع العرب من الثورة على الأتراك إلا بقية من الولاء لدولة الخلافة الإسلامية، وخوفهم من الوقوع في قبضة الاستعمار الأوربي والذي بدأ يتطلع للعالم العربي.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) دخلت الدولة العثمانية هذه الحرب إلى جانب ألمانيا وحلفائها ضد انجلترا وفرنسا وحلفائهما. ولذلك أصبح موقف البلاد الخاضعة للاستعمار الإنجليزي والفرنسي دقيقا.

وهنا ازداد اهتمام الحلفاء بالبلاد العربية لأن بقاء العرب إلى جانب العثمانيين يهدد المصالح الإنجليزية في قناة السويس وشرقي إفريقيا والخليج العربي حيث آبار النفط التابعة للشركة الإنجليزية الفارسية. وقد خشيت بريطانيا وفرنسا أن تؤدي دعوة السلطان للجهاد المقدس باعتباره خليفة المسلمين ضد الدول المسيحية، مما يترتب عليه ثورة الشعوب الإسلامية العربية وغير العربية خاصة الواقعة تحت حكم الدولتين*، كما أن في كسب العرب إلى جانبهم قوة لهم وضعفا لأعدائهم. ومن هنا (خوف انجلترا من تأليب الشعوب العربية عليها) سعت انجلترا بشتى الوسائل لجذب

---

*- ظلت بريطانيا طوال الحرب تنظر بعين القلق إلى موقف المسلمين العرب الخاضعين لسيطرتها خوفا من تألبهم عليها وكان هذا هو ما تخشاه فرنسا أيضا بالنسبة لعرب تونس والجزائر والمغرب الأقصى.

العرب إلى جانبها، واستغلال ثورتهم القومية، وأصبح أمام العرب إما أن يقفوا إلى جانب الدولة العثمانية المسلمة وأن يكسبوا عطفها، وإما الثورة عليها والفوز بحريتهم بحد السيف.

تردد زعماء العرب كثيرا في اتخاذ قرار حاسم في هذا الشأن، فقد كانوا يخشون الثورة على الدولة العثمانية، أن تؤدى بهم إلى الخضوع لحكم أجنبي أوربي، وأعلنت جمعية العربية الفتاة، أنه يجب بذل أقصى جهد لضمان تحريرها واستقلالها... وأنه في حالة ظهور مطامع أوربية ينبغي على الجمعية أن تعمل إلى جانب الدولة العثمانية.

٢- موقف الإنجليز من الحركة العربية:

حصر الإنجليز اتصالهم بزعماء الحركة الوطنية الذين يتكونون من ضباط الجيش والمثقفين وأصحاب النفوذ الواسع من الأغنياء.

بدأ الإنجليز يجسون نبض الضابط عزيز علي المصري وأعضاء الجمعيات العربية في أواخر عام ١٩١٤م بواسطة خبرائهم في الشؤون العربية، فأصر المفاوضون العرب على أن تتعهد الحكومة البريطانية رسميا بأن لا مطمع لها في أي قطر عربي، وأنها لا تمانع في استقلال العرب واتحادهم إذا ما وقف العرب إلى جانبها في الحرب، وطلبوا ألا يشترك في العمليات الحربية جنود فرنسيون في الجبهة السورية، ولا جنود انجليز في الجبهة العراقية، لقطع الطريق على ما يمكن حدوثه من مؤامرات.

لم يكن موقف الوطنيين مشجعا أول الأمر، فقد أبدى معظمهم تمنعًا وتصلبا أمام الإغراءات الإنجليزية. وكان عزيز علي المصري أكثرهم وعيا وصلابة لأنه خشي أن يؤدي التسرع في محالفة الإنجليز والثورة على العثمانيين إلى فراغ يسده الإنجليز قبل أن تسده الحركة العربية، كما خشي أن تنتهي الثورة إلى استبدال مستعمر بآخر. وقد أوعز عزيز علي المصري إلى أعوانه في حزب العهد في سوريا

ومصر والعراق أن يتصلبوا أمام المفاوضين الإنجليز وألا يتعهدوا لهم بشيء ما لم يحصلوا على ضمانات فعلية ضد الخطط الأوربية[1].

غير أن أغلبية السوريين الوطنيين في مصر الذين هربوا إليها من جور الأتراك رأت في تحذير عزيز علي المصري مبالغة في التشاؤم وعدّت موقفه سلبيا أكثر مما يجب، فخرج أفرادها عن نصيحته وتابعوا اتصالاتهم مع المسؤولين الإنجليز أملا في الوصول إلى حلّ وسط يرضي الإنجليز ولا يتنكر للأهداف القومية.

وكان على القوميين العرب* أن يفكروا في مصير بلادهم وقد انقسمت آراؤهم السياسية في هذا المجال إلى المواقف التالية:

مجموعة ترغب في تأسيس دولة مستقلة تعتمد على جهودها الخاصة وأخرى ترغب في تحقيق ذلك بمساعدة خارجية أما الفئة المتبقية فتؤكد على تمسكها بالدولة العثمانية خوفا من الأطماع الأوربية[2].

٣- محادثات عبد الله كتشنر:

لم يكن الإنجليز بغافلين عما يجري بين العرب والأتراك من نزاع داخلي بسبب سياسة التتريك التي انتهجتها جماعة الاتحاد والترقي ناهيك عن الأزمة المتنامية في منطقة الحجاز بين الشريف حسين والوالي العثماني الجديد الذي تميّز بصرامته، وتحمسه لمبادئ جمعية الاتحاد والترقي ناهيك عن جمعه للسلطتين التنفيذية والإدارية بين يديه[3] وأمام هذا الوضع وجه الإنجليز نظرهم نحو مكة المكرمة واتصلوا بأميرها الشريف حسين بن علي خصم الإتحاديين العنيد[4] الذين أداروا ظهرهم لهم واتجهوا

---

[1]- خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق "١٩١٨-١٩٢٠م"، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، ص ٢٣. "التهميش".

*- الموقف كان موقف الحركة القومية ولم يكن موقف عرب الدولة العثمانية في ذلك الوقت الذين كانت تغلب عليهم المشاعر الموروثة القديمة من دينية ومحلية وقبلية ومصالح خاصة أما الأفكار القومية فكانت محصورة لدى الأوساط الثرية المثقفة من أعيان وتجار وضباط وأصحاب اقطاعات "أنظر خيرية قاسمية (المصدر السابق)، ص ٢٢.

[2]- نفسه، ص ٢٣.

[3]- كليب سعود الفواز، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين، مكتبة الإسكندرية، مصر، دط، دت، ص ٩١.

[4]- أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ج١، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ١٩٣٤م، ص ١٢٦.

نحو التحالف مع ألمانيا في إطار مشاريع اقتصادية وعسكرية انتهت فيما بعد إلى تحالف عسكري معهم في الحرب العالمية الأولى.

والظاهر تاريخيا أن الإنجليز اختاروا أمير مكة المكرمة عن غيره من الزعماء ولنفوذه داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها ومكانته في العالمين العربي والإسلامي، كونه ينتمي إلى الدوحة النبوية الشريفة، ناهيك عن قدرته في النجاح في المهمة التي ستوكل له مستقبلا خاصة إذا لوحت له بالخلافة وتحول بذلك بريطانيا ولاء رعاياها المسلمين من الخلافة العثمانية في الآستانة إلى الخلافة في مكة المكرمة[٥].

ومما يجب الإشارة إليه في هذا المضمار أن الأمير عبد الله بن الحسين لعب دورا كبيرا في الاتصالات مع البريطانيين أثناء تنقلاته من الحجاز إلى إسطنبول مرورا بمصر التي كانت له فيها لقاءات مع اللّورد كتشنر المعتمد البريطاني بوساطة مصرية صائفة ١٩١٣م في قصر عابدين قام بها الخديوي عباس حلمي ليتكرر اللّقاء ثانية في الأسبوع الأول من شهر فبراير ١٩١٤م بعد نشوب خلاف بين والده والدولة العثمانية بعد تعيينها للوالي الجديد على الحجاز[٦] والذي جاء مزودا بسلطات واسعة وسبع أورطة مدفعية[٧] يعتمد عليها في تنفيذ سياسته الجديدة القائمة على تحديد نفوذ الشريف حسين.

وفي هذا اللقاء تحدث عبد الله على العلاقة المتوترة بين الطرفين ولمح بحدوث ثورة في الحجاز إذا حاول العثمانيون عزل والده. وحاول معرفة موقف بريطانيا من ذلك[٨] ورد كتشنر على ذلك قائلا: «إن انجلترا حريصة على إبقاء علاقة ودية مع

---

[٥]- محمود صالح منسى، حركة اليقضة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ١٩٧٨م، ص ص ٢٦٧، ٢٦٨.

[٦]- عبد اللطيف بن محمد الحميد، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، ط١، مطبعة العبيكان، الرياض، السعودية، ١٩٩٤م، ص ٢٠٨.

[٧]- أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، المجلد ١، دط، دت، ص ص ١٢٧، ١٢٨.

[٨]- عماد عبد العزيز يوسف، الحجاز في العهد العثماني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، ٢٠٠٥م، ص ١٠٥.

العثمانيين وإنها تساعد العرب ضمن هذه الدائرة مراعاة للصداقة التقليدية التي تربطها بالعثمانيين»[٩].

وعلى الرغم من تحفظ كتشنر للأمير عبد الله فإن الفكرة قد آثرته وأعطى تعليمات في ٢٤ سبتمبر ١٩١٤م بوصفه وزير حربية إلى دار الاعتماد في القاهرة للاتصال بالشريف حسين لمعرفة الموقف الذي سيقفه عرب الحجاز إذا ما دخلت الدولة العثمانية الحرب[١٠].

وجاء جواب عبد الله، بأنه راغب في الوصول إلى التفاهم مع بريطانيا لكن بسبب مركز والده الديني الذي يفرض عليه الحياد[١١]، وأنهم في الوقت الحاضر غير مستعدين للقيام بشيء وإذا تطاول العثمانيون أكثر إلى الحدّ الذي لا يمكن السكوت عليه عندئذ يقومون بالثورة بمساعدة بريطانيا[١٢].

ولذلك اندفع الانجليز في إغراء الحسين برسالة جديدة في ٣١ أكتوبر ١٩١٥م للإنضمام إليهم بأنهم سيعملون على حمايته ومساعدته للاحتفاظ بمنصبه كشريف مكة المكرمة والاعتراف به خليفة للمسلمين ومساعدة العرب للحصول على استقلالهم عن الدولة العثمانية. تداول الحسين مع أولاده عبد الله وفيصل فيما ورد في هذه الرسالة وقرر أن يكون الرّد عليها ردا غير حاسم متذرعا بعدم قدرته على المجاهرة بالعداء للأتراك وأنه يتطلب وقتا لدراسة سائر الاحتمالات[١٣] وتوقفت هذه المرحلة من الاتصالات عند هذا الحدّ.

٤- مراسلات الشريف حسين مكماهون:

لقد كانت مباحثات عبد الله كتشنر تمهيدا لاتصالات مكماهون، وتعتبر الرسالة الأخيرة التي أرسلها المستر ستورس إلى الأمير عبد الله حول عروض بريطانيا

---

[٩]- أحمد عبد العزيز عيسى، الدولة العثمانية والمشرق العربي في العصر الحديث، ط١، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠١م، ص ٢٢٦.

[١٠]- خيرية قاسمية، المصدر السابق، ص ٢٦.

[١١]- جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، ط٨، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص٢١٢.

[١٢]- الأمير عبد الله، مذكراتي، مؤسسة هنداوي، عمان، الأردن، ١٩٨٩م، ص ٩٥.

[١٣]- أنظر أمين سعيد، المصدر السابق، ص ١٢٩.

لمساعدة الحركة العربية، بداية العروض البريطانية الرسمية وفاتحة اهتمام البريطانيين بقيام ثورة عربية على الدولة العثمانية بقيادة الشريف حسين "شريف مكة"[١٤] الذي كان يمّر آنذاك بأزمة حادة تتمثل في الإقدام على قرار خطير يحارب به دولة ارتبط بها العرب أربعة قرون. مما جعله في حيرة من أمره، ينظر ويتربص بحذر وقلق شديدين[١٥].

وبينما وهو في هذه الحالة حتى وصله رسول من قبل الجمعيات العربية في الشمال برسالة شفوية حملها فوزي البكري في يناير ١٩١٥م فحواها أن الزعماء الوطنيين في الشام والعراق يميلون إلى الثورة للحصول على استقلال العرب، فهل يوافق الشريف حسين على قيادة هذه الثورة؟ ولم يلب الحسين الدعوة مباشرة حيث كان حذرا لأنه التمس في الوالي العثماني الجديد وهيب باشا بعض التغيير. وعندما سافر هذا الباشا إلى إسطنبول عثر الشريف حسين على وثائق هامة ضاعت منه تتضمن على مؤامرة تديرها الجهات الرسمية ضد حياته[١٦] أي اعتقاله واغتياله.

ومما يجب الإشارة إليه في هذا المضمار انه بعد دخول الدولة الحرب العالمية الأولى في أواخر أكتوبر ١٩١٤م أعلن السلطان العثماني على أنه خليفة للمسلمين الدعوة إلى الجهاد المقدس. وطلب إلى الحسين تأييد هذه الدعوة لمكانته الدينية وانهالت عليه الرسائل والبرقيات من الآستانة ومن جمال باشا في سوريا لإظهار تأييده وإرسال راية الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دمشق وأن يحشد جيشا من القبائل الحجازية، وأجاب الحسين بأنه سيؤيد الدعوة إلى الجهاد بكل قلبه ويباركها بصمت أما تأييده العلني لها فأمر لا سبيل له لأن الأسطول الإنجليزي يسيطر على البحر الأحمر وسواحل الحجاز وأن انجلترا ستنتقم بحصار موانيه وبذلك ينقطع وصول المؤن عن طريق البحر مما يؤدي إلى مجاعة في الحجاز ولكنه وافق على

---

[١٤]– عماد عبد العزيز يوسف، المرجع السابق، ص ١٠٧.

[١٥]– أمين سعيد، المصدر السابق، ص ١٨٦.

[١٦]– جورج انطونيوس، يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة: ناصر الأسد وإحسان عباس، ط٦، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ص ٢٣٣.

إرسال راية الرسول صلى الله عليه وسلم باحتفال مهيب إلى دمشق في ديسمبر ١٩١٤م وبدأ يجمع المجاهدين من قبائل الحجاز.

وقد أثار موقف الحسين هذا غضب الأتراك فشرعوا يدبرون الخطط لعزله وصدرت الأوامر إلى وهيب باشا والي المدينة سرّا واغتياله كما سبقت الإشارة إليه.

ورغم ذلك فقد أرسل الشريف حسين إبنه فيصل في مهمة إلى اسطنبول ظاهرها ليعرض هناك على الحكومة الاتهام الذي يوجهه والده إلى الوالي، وحقيقتها الاتصال بزعماء العرب في دمشق ومعرفة موقفهم من العروض الانجليزية[١٧].

وصل فيصل إلى دمشق قادما من مكة المكرمة في ٢٦ مارس ١٩١٥م وقد استقبله فيها جمال باشا بالترحاب حيث أقام فيها أربعة أسابيع قبل أن يغادرها إلى الآستانة، ودعاه إلى الإقامة في مقر القيادة العامة، فاعتذر لأنه وعد آل البكري أن ينزل عندهم في القابون[١٨] قرب دمشق. واطلع فيصل، خلال إقامته في دمشق على أسرار الحركة العربية باتصاله مع الأعضاء البارزين في جمعية العربية الفتاة وجمعية العهد[١٩].

وكان فيصل معروفا عندهم بميله إلى التعاون مع الدولة العثمانية، فكانوا حذرين بمحادثتهم معه، ولكنه صرح لهم بأن تفضيله للأتراك ناجم عن مخاوفه من الدول الأوربية، وعندئذ سادت مفاوضاتهم روح المودة والثقة، فوجد أن مواقف وأهداف الجمعيتين "العربية الفتاة والعهد" متطابقة فكلتاهما راغبة في الانفصال عن الأتراك، ولكن هذه الرغبة كان يكبحها الخوف من الأطماع الأوربية.

وبعد ذلك انخرط فيصل وأصبح عضوا في الجمعيتين بعدما تردد في بداية الأمر[٢٠] وعندئذ فتح فيصل قلبه وبدأ يتحدث مع الجمعيتين حول الخطة التي يجب إتباعها لإعلان الثورة. وأبلغهم أن بريطانيا عرضت مساعدتها على العرب، وسألهم

---

[١٧]- عبد اللطيف بن محمد الحميد، (المرجع السابق)، ص ١٢١.

[١٨]- القابون هو قصر آل البكري دمره الفرنسيون أثناء الثورة السورية عام ١٩٢٥م بالديناميت... للمزيد أنظر أمين سعيد (المرجع السابق)، ص ١١٣.

[١٩]- محمد فاروق الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، ط١، دار الراوي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ٢٠٠٠م، ص١٩٦.

[٢٠]- جورج أنطونيوس، (المرجع السابق)، ص ٢٣٧.

إن كانوا يوافقون على ذلك؟ وما هي الشروط التي يرونها من الواجب أن تكون أساسا لعقد هذا الاتفاق مع بريطانيا، وقد كان الأمير فيصل واضحا وصريحا تجاه الحركة العربية عندما قال لهم بأن أباه لا يزال ينظر بحذر شديد إلى عرض بريطانيا عكس شقيقه عبد الله المتحمس لذلك ويرى فيه الفرصة لانتزاع حلم العرب[٢١].

ثم غادر فيصل دمشق إلى الآستانة وبقي فيها قرابة شهر، عرض فيها شكوى والده على كبار المسؤولين ممثلين في سعيد حليم "الصدر الأعظم" وطلعت باشا "وزير الداخلية" وأنور باشا "وزير الحربية". وأطلعهم على الوثائق والكتب التي وجدها وشكا من تصرف الاتحاديين وقال بأنهم يعملون للتنكيل بهم ودس الدسائس ضدهم مما أفقدهم الثقة بهم، وبعدما استمعوا له أصدروا أمرا بنقل وهيب باشا من الحجاز وعينوا الجنرال غالب باشا مكانه وقاموا بهذا إرضاءً له ولوالده[٢٢].

عاد فيصل من الآستانة إلى دمشق ليحذر زملاءه في جمعيتي الفتاة والعهد قد اتفقوا على خطة للعمل أثناء غيابه ووضعوا ميثاقا يتضمن الشروط التي يطالب بتحقيقها الزعماء العرب[٢٣] وكانوا حريصين كل الحرص ألا يعلنوا ثورتهم إلا بعد الحصول على ضمانات كافية بتحقيق استقلال البلاد العربية، وقاموا بتنسيق العمل بين قادة الحركة العربية في كل من الحجاز وسوريا[٢٤]. وأن يقوم الشريف حسين بن علي بمفاوضة بريطانيا باسم العرب وأن يتحالف معها شرط اعترافها باستقلال البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية في دولة موحدة، وإلغاء جميع الامتيازات الأجنبية وعقد معاهدة دفاعية مع بريطانيا التي يكون لها التفضيل في المشاريع الاقتصادية التي يقوم بها العرب. وقد عرفت هذه الشروط باسم ميثاق دمشق الذي أرفقوه بخارطة جغرافية توضح الحدود الجغرافية للدولة العربية التي يجب على بريطانيا الاعتراف بها للعرب:

---

[٢١]– قدري قلعجي، الثورة العربية الكبرى، ط٢، شركة المطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ص ١٤٩.

[٢٢]– أمين سعيد، (المصدر السابق)، ص ١١٠.

[٢٣]– جورج أنطونيوس، (المرجع السابق)، ص ص ٢٤٢، ٢٤٣.

[٢٤]– محمد الخير عبد القادر، نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، ط١، مكتبة هبة الأزهر، القاهرة، مصر، ١٩٨٥م، ص ١١٢.

- شمالا خط مرسين، أضنة إلى ما يوازي خط العرض ٣٧° شمالا. ثم امتداد خط بيرة جيك، أورفة، ماردين، مدياث، جزيرة ابن عمرو، العمادية إلى حدود إيران[٢٥].
- شرقا على امتداد حدود إيران إلى خليج العرب جنوبا.
- جنوبا المحيط الهندي (بإستثناء عدن التي يبقى وضعها الحالي كما هو).
- غربا على امتداد البحر الأحمر ثم البحر المتوسط إلى مرسين.

هذا وقد أكد زعماء العرب مرة أخرى للأمير فيصل أنهم يعتبرون والده ممثل العرب ومتى اتفق مع بريطانيا يعلنون الثورة في بلاد الشام[٢٦] واتفقوا في الأخير أن يحمل هذه المذكرة أو الميثاق إلى مكة المكرمة، ويطلب إلى والده أن يعرف من الحكومة الإنجليزية مدى قبولها لتلك الشروط التي كان يتمسك بتحقيقها الزعماء العرب لكي يقوموا بثورة عربية يعلنها شريف مكة، ويبذلوا فيها أقصى جهدهم لمؤازرة قضية الحلفاء.

بعد ذلك سافر فيصل إلى القدس ليودع جمال باشا[٢٧] ويستأذن منه للسفر وتابع رحلته حتى وصل إلى مكة المكرمة في ٢٠ يوليو وهو حامل للمذكرة ثم عرضها على أبيه وهو كله نشاط وحماسة متأثرا بما سمعه من أقوال وشهده من روح قومية حاملا معه خاتمي الشيخ بدر الدين الحسيني، وعلي رضا باشا إلى والده كعلامة موافقتهما على إعلان الثورة[٢٨].

في نفس الوقت كانت بريطانيا قد اتصلت بالحسين وكثير من أقطاب حزب اللاّمركزية في القاهرة. ولكن الحسين لم يبد رأيا قاطعا للإنجليز قبل أن يتعرف إلى نياتهم تماما فبدأ مفاوضاته مع هنري مكماهون، المندوب السامي في مصر، والمفاوض من قبل وزارة الخارجية الإنجليزية بالاتفاق مع العرب.

---

[٢٥]– عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ص ٢٥٢.

[٢٦]– قدري قلعجي، المرجع السابق، ص ١٤٩.

[٢٧]– عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ص ٢٥٢.

[٢٨]– أمين سعيد، (المصدر السابق)، ص ١١٣.